اللّون وأبعاده الدلالية عند الشّعراء الصعاليك

د.فريدة بن عاشور

جامعة20 أوت 1955 سكيكدة

الملخص:

اتخذ الشاعر الجاهلي من الشّعر وسيلة للتعبير عن واقعه وتفاصيل حياته اليومية،وصور البيئة المحيطة به بكل ما فيها،فنقل كل ذلك بكل صدق وواقعية. وقد اهتم الشاعر بتصوير التفاصيل الدقيقة كالصوت والحركة والشّكل واللّون.وكان اللّون حاضرا في رسم تفاصيل الأشياء المختلفة التي تقع عليها عين الشّاعر في عالم الانسان والحيوان والطبيعة ممّا يوحي بأنّ الجاهلي قد أدرك الألوان ودلالاتها المختلفة. والشّعراء الصعاليك لم يكونوا بمنأى عن الاهتمام باللّون والاتكاء عليه في رسم تفاصيل صورهم فجاءت لوحاتهم الشّعرية مزدانة بألوان شتى.واستنادا إلى كون الشّعراء الصعاليك يمثلون خروجا على المستويين الاجتماعي والفني فإننا نسعى من خلال هذه الدّراسة إلى الكشف عن حضور الألوان في أشعارهم وأبعاده الدلالية ومدى اختلافهم في ذلك عن الشّعراء الجاهليين .

الكلمات المفتاحية:

اللّون;الشّعراء الصعاليك;الأبعاد الدلالية;الاختلاف

Abstract:

The color and its meanings for the "Saalik" poets Abstract : The poet of the "Jahiliyyah" (age of ignorance), considered the poetry as a way to express his reality, details of his daily life and his entourage. The poet focused on depicting the exact details such as sounds, movements, shapes and colors. This last was present in picturing most of the details of things that the poet has seen in the world of humans, animals and nature, which it means that he realized the different meanings of colors back then. The "Saalik" poets were also interested in colors in order to detail their descriptions, that's what led them to write a fascinating poems with different colors. And based on the fact that those "Saalik" were not a part of the social level nor the artistic one. We seek through this study to know the meaning of the presence of the colors in their poems and the differences between the "Saalik" and the poets of "Jahiliyyah".

Keywords: Color; Saalik poets; Diffrence

التفت الشاعر الجاهلي إلى كلّ ما يحيط به،ونقل هذا الواقع في أشعاره،وكان حديثه عن الإنسان والحيوان والنبات والجماد مستمدّا من واقعه،وكانت صوره تتّسم بالصدق والواقعية،وأكثر ما ميّز الشّاعر الجاهلي،هو أنّه كان دقيقا في نقل تفاصيل هذا الواقع فاهتم بالصّوت والحركة والشّكل واللّون،فجاءت لوحاته الشّعرية تنبض بالحركة والحيوية،وتزخر بمختلف الأصوات،كما بدت زاهية بعديد الألوان.

ولأنّ الشّعراء الصعاليك يشكّلون حركة تمرد على المستوى الاجتماعي صحبها تمرد على المستوى الفني،فإننا نحاول أن نبحث ظاهرة اللّون وحضورها عند الشّعراء الصعاليك،وذلك من خلال الحديث عن حضور الألوان في شعر الصعاليك،والأبعاد الدلالية التي تنطوي عليها،وغايتنا من ذلك هي الكشف عن مدى اهتمامهم باللّون،ومجالات توظيفه،والأبعاد الدلالية التي ينطوي عليها.

و قد قصرنا مدوّنة الدّراسة على شعراء ثلاثة يأتون في مقدّمة الشّعراء الصعاليك وهم:الشنفرى،تأبط شرا،وعروة بن الورد.وسنعتمد المنهج الذي تقتضيه طبيعة هذه الدراسة،وهو الوصفي التحليلي،مع الاستئناس بالمنهج الأسطوري.وقبل البدء ارتأينا أن نؤسس بمهاد نظري نحدّد من خلاله معنى الصعلكة لغة واصطلاحا.

مفهوم الصعلكة:

يتحدّد مفهوم الصعلكة انطلاقا من مدلولها اللغوي،إذ ورد في لسان العرب أنّ((الصعلوك:الفقير الذي لا مال له،وزاد الأزهري:ولا اعتماد.وقد تصعلك الرّجل إذا كان كذلك..وتصعلكت الإبل:خرجت أوبارها وانجردت وطرحتها.. والتصعلك: الفقر. وصعاليك العرب: ذؤبانها.وكان عروة بن الورد يسمّى:عروة الصعاليك لأنّه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم ممّا يغنمه))[1].

واستنادا إلى ما ورد في بطون المعاجم من معاني ترتبط بالجدر"صعلك"ذهب يوسف خليف إلى اعتبار الصعلكة في المفهوم اللّغوي((الفقر الذي يجرّد الإنسان من ماله،ويظهره ضامرا هزيلا بين أولئك الأغنياء المترفين الذين أتخمهم المال وسمّنهم))[2]. وتفسيرا لعبارة"ولا اعتماد"التي زادها الأزهري،ذهب إلى القول بأنّ الصعلوك في اللّغة هو((الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة،ولا اعتماد له على شيء أو أحد يتّكئ عليه أو يتّكل عليه ليشق طريقه فيها،ويعينه عليها،حتّى يسلك سبيله كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة،ويواجهون مشكلاتها يدا واحدة))[3].

وذهب شوقي ضيف إلى القول إنّ((الصعلوك في اللّغة الفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة،ولم تقف هذه اللّفظة في الجاهلية عند دلالتها اللّغوية الخالصة،فقد أخذت تدلّ على من يتجرّدون للغارات وقطع الطرق))[4].

وعليه يمكن القول إنّ((مادة"صعلك" تدور في دائرتين:إحداهما"الدائرة اللّغوية"التي تدل فيها على معنى الفقر،وما يتصل به من حرمان في الحياة،وضيق في أسباب العيش،والأخرى نستطيع أن نطلق عليها "الدائرة الاجتماعية"،وفيها نرى المادة تتطوّر لتدّل على صفات خاصّة تتّصل بالوضع الاجتماعي للفرد في مجتمعه،وبالأسلوب الذي يسلكه في الحياة لتغيير هذا الوضع))[5].

وإجمالا يمكن تعريف الصعاليك بأنّهم((فئة من الفقراء اتخذوا لأنفسهم طريقة خاصّة في حياتهم، فسلكوا سلوكا له سمات معينة،أهمها:الأنفة والإباء والترفع عن الصغائر والدنايا وحقير الأعمال،معتمدين في حياتهم على القوّة والبطش وانتهاز الفرص وخفّة الحركة وسرعة الجري والهجوم الخاطف والسّلب والنهب والفتك بالأعداء مع الحرص على البرّ والاهتمام بالمرضى والضعفاء والمحتاجين))[6].

وإن كانت هذه الصّفات تمثّل السمّات العامّة التي اتصف بها الصعاليك،فإنّ واقعهم يؤكّد أنهم لم يكونوا من فئة واحدة،وعليه قسّم الدّارسون الصعاليك إلى ثلاثة طوائف هي[7]:

1-الخلعاء والشذّاذ: وهم الذين أنكرتهم قبائلهم،وتبرأت منهم وطردتهم من حماها،وقطعت ما بينها وبينهم من صلة،ومنهم حاجز الأزدي،وقيس بن الحدادية،وأبي الطّمحان القيني.

2-الأغربة:وهم السود الذين سرى إليهم السّواد من أمهاتهم الإماء،فلم يعترف بهم آباؤهم العرب،ولم ينسبوهم إليهم،مثل تأبط شرا،والشنفرى،والسليك بن السلكة.

3-الفقراء المتمردون:وهم الذين تصعلكوا نتيجة ظروفهم الاقتصادية،ويمثلهم عروة بن الورد ومن التفّ حوله من فقراء العرب،وصعاليك هذيل.

الشّعراء الصعاليك واهتمامهم باللّون:

تميّز شعر الصعاليك بجملة من الظواهر الفنية[8] التي طبعته،والتي شكّلت سمات فارقة تميزه عن شعر غيرهم من الشّعراء الجاهليين. وتعدّ الواقعية من الظواهر الفنية التي تميز بها شعر الصعاليك،وقد تجلّت هذه الواقعية في مظاهر شتّى منها الحرص على التفاصيل والاهتمام بالجزئيات،وفيها يتجلى لنا((مظهر آخر من مظاهر حرص الشّعراء الصعاليك على التفاصيل،وهو اهتمامهم"بظاهرة اللّون"))[9].وهو

ما بدا لنا واضحا من خلال اعتمادهم اللّون عند وصفهم لمختلف أسلحتهم،كالسّيف الأبيض والسّهم الأزرق والقوس الصّفراء أو الحمراء،أو عند حديثهم عن الحيوانات الأليفة كالخيول،أو المتوحشة كالوعول والذئاب،أو عند وصفهم مظاهر الطبيعة المختلفة من ماء وزهر وغيرها.

إنّ اهتمام الشّعراء الصعاليك باللّون كان قويا وواضحا،وهو ما يفسّر إدراكهم للّون وأهميته بالنسبة للموصوفات،وأنّ للألوان دلالات لا يمكن الاستغناء عنها،ممّا جعلهم يركّزون على الوصف باستخدام اللّون؛بحيث تغدو الأشياء واضحة المعالم وغير باهتة.إنّ الاهتمام باللّون جعل أشعارهم مزدانة بعديد الألوان:فالسّيف أبيض،والقدح أحمر،والسهم والنّصل أزرقان،والرمح والترس أسمران،والقوس إما صفراء وإما حمراء.و الظباء بيض،والإبل دهم ،والحصان أشقر ،والنبت أخضر،وغيرها[10].

الألوان ومواطنها في شعر الصعاليك:

يدّل لفظ اللّون في اللّغة على تغيّر الهيئة والصورة،وقد ورد في لسان العرب أنّ((اللّون:هيئة كالسّواد والحمرة،ولونته فتلوّن.ولون كلّ شيء ما فصل بينه وبين غيره))[11]،ومنه يتّضح أن اللّون يرتبط بالهيئة،أي الشّكل الخارجي.والتلوّن يعني تغير الصورة من حال إلى أخرى،كما أن اللّون يُعتمد سمة فارقة بين الأشياء. وهو ما نلاحظه من اعتماد الشعراء الصعاليك عليه في أشعارهم،على اعتبار أنّ الأشياء تنماز عن بعضها البعض باللّون.

وعلى الرّغم من قلّة شعر الصعاليك إلا أنّ أشعارهم شملت مواضيع شتّى،وكان اللّون حاضرا في مختلف مجالات حياتهم،وسنتناول حضور اللّون من خلال معالجته عبر مجالات محدّدة وهي الإنسان والحيوان،والطبيعة.

وانطلاقا من كون الألوان الطاغية على الشّعر العربي الجاهلي هي الأبيض،والأسود،والأحمر،والأصفر، والأخضر والأزرق[12]،سنحاول أن نكشف عن تواجد هذه الألوان عند الشّعراء الصعاليك،وذلك بالوقوف على مختلف الأشياء التي استحضروها من خلال تحديدها باللّون وما يمكن أن يحيل إليه من دلالات.

1-اللّون الأبيض:

عُرف هذا اللّون عند معظم الشّعوب،وارتبط بالطّهر والنّقاء،واستخدم العرب القدماء البياض للمدح بالكرم ونقاء العرض من العيوب[13].وللّون الأبيض خاصية جمالية تتوغّل في أعماق الثقافة العربية قديما وحديثا؛حيث يرمز للنّقاء والصّفاء والطّهر والسّلام،والجمال بشكل عام[14].وقد بدا هذا

اللّون واضحا في مجالات مختلفة:في الإنسان،والحيوان،والطبيعة،وإن كان حضوره متباينا من مجال إلى آخر.

حضر اللّون الأبيض في حديث الشّعراء عن جمال المرأة العربية،وكان أكثر التصاقا بالجمال الجسدي، ومن الأعضاء التي وُصفت بالبياض الأسنان،إذ أحبّ الشّعراء أن يفتّر ثغر المرأة عن أسنان بيضاء،وفي ذلك نجد تأبط شرّا يقول[15]:

نِيافُ القُرْطِ غَرّاءُ الثَّنايا ورَيْداءُ الشَّبابِ ونِعْمَ خيمُ[16]

ويقول عروة بن الورد[17]:

تَرَى كُلَّ بَيْضَاء العَوارِضِ طَفْلَة تُفَرّي إذا شالَ السِّماكُ صِدارَها

وإذا كان البياض في الشّعر الجاهلي يقترن بجمال المرأة،وجلال الرّجل،ورهافة السيوف والدروع[18]،فقد حضر اللّون الأبيض في شعر الصعاليك لا ليدّل على بياض البشرة وإنما ليحيل إلى الصّفاء والإشراق.قال الشّنفرى واصفا أصحابه الصعاليك[19]:

سَراحينُ فِتْيانٌ كَأَنَّ وُجوهَهُمْ مَصابيحُ أَوْ لَوْنٌ مِنَ الماءِ مُذْهَبُ

وقال عروة بن الورد[20]:

وَلَكِنَّ صُعْلوكًا صَحيفَةَ وَجْهِه كَضَوْءِ شِهابِ القابِسِ المتَنَوّرِ

فالشّاعر بسبيل مدح الصعلوك النشيط الذي يطرد عنه الكسل والخمول،ويسعى جاهدا لتأمين قوته وقوت أسرته،إذ يرضى بمواجهة المخاطر ويعرّض نفسه للمهالك في سبيل حفظ كرامته،والترّفع عن طلب ما يجود به الآخرون.فهذا الشّخص القانع بما يُقبل عليه يشعر بالرضا وتنبسط أساريره،وينعكس ذلك على صفحة وجهه فيبدو مشرقا مضيئا يتلألأ كشهاب من نور.

ولا يحضر البياض عند الشّعراء الصعاليك بدلالته الإيجابية فقط،بل يحضر بدلالته السلبية،ومن ذلك ما يرتبط بالمشيب وتقدّم العمر،وما يعتري الإنسان من تغيّر الأحوال.قال تأبط شرّا في رثاء الشنفرى[21]:

وحَتَّى رَماكَ الشَّيْبُ في الرَّأْسِ عانِسًا وخَيْرُكَ مَبْسوطٌ،وزادُكَ حاضِرُ

فالشّاعر يتحدّث عن البياض الذي اقتحم سواد الرّأس،ولكن ليس ليذمّ المشيب وإنما ليشيد برفيقه الشنفرى الذي عُرف بالشّجاعة والبسالة ومواجهة الأخطار دون أن تطاله أيدي الأعداء،فطال عمره وامتدت به السّنون وعلاه الشّيب وهو ماض في مسيرته.

ويستحضر عروة بياض المشيب،الذي بدأ يزحف مُعلنا تقدّم العمر،في لوحة تشبيهية رائعة فيقول[22]:

كَأَنّي حَصانٌ مالَ عَنْهُ جِلالُهُ أَغَرُّ كَريمُ حَوْلَهُ العودُ راتِعُ

فالشاعر يشبّه نفسه بالحصان الأغّر الذي يتميز بوجود بياض في جبهته.

وممّا سبق يتّضح أنّ البياض يحضر في عالم الحيوان كما في عالم الإنسان وتكون له دلالاته الخاصّة. وممّا قاله الشّنفرى مُشبها نفسه بالوعل[23]:

ويَركُدْنَ بِالآصالِ حَوْلي كَأَنّني مِنَ العُصْمِ أَدْفى يَنْتَحي الكيحَ أَعْقَلُ[24]

فهو يحدثنا عن الغزلان التي لا تفرّمنه بل تركد حوله،مشبها نفسه بالغزال الأعصم،وهو الذي في ذراعيه بياض،هذا البياض الذي يهبه مسحة جمالية وتميزا بين أقرانه.ويقرن البياض بدلالة أخرى حين يتحدّث عن حيوان آخر،وهي الذئاب الجائعة،التي نحلت من شدّة الجوع حتّى بدا شعر وجهها أبيض،فيقول[25]:

مُهَلَّلَةٌ شِيبُ الوُجوهِ كَأَنَّها قِداحٌ بِأَيْدي ياسِرٍ تَتَقَلْقَلُ[26]

فالبياض هنا لا يحضر بدلالته الإيجابية بل بدلالة سلبية،لأنه يحيل إلى الضّعف والهزال الناتج عن شدة الجوع.

ولم تغفل عين الشّعراء الصعاليك عمّا في الطبيعة من بياض تجلّى في بعض مظاهرها.ومن ذلك ما نجده عند الشّنفرى الذي يستعين بصورة الزّهر الأبيض عند الحديث عن طيب رائحة صاحبته فيقول[27]:

فَبِتْنا كَأَنَّ البَيْتَ حَجَّرَ فَوْقَنا بِرَيحانَةٍ رِيحَتْ عِشاءً وطَلَّتِ

بِريحانَةٍ مِنْ بَطْنِ حَلْيَةٍ نَوَّرَتْ لها أَرَجٌ وما حَوْلها غَيْرُ مُسْنِتِ[28]

فهو يتحدّث عن طيب رائحة المحبوبة فشبّهها بالريحانة التي خرج نورها أي زهرها الأبيض،فكلّما مرّ عليها الهواء وحرّكها نقل لهم أريج عطرها.

أما عروة فيأسره بياض البرق عندما يلوح بين الغيوم السّوداء،فيكون أكثر بياضا وفي ذلك يقول[29]:

تكشّف عائذ بلقاء تنفي ذكور الخيل عن ولد شغور

فقد شبّه البرق الذي يلوح ببياضه في سواد الغيم ببياض الفرس الذي يشوبه سواد في بطنها.

ومن خلال استقرائنا لدواوين الشّعراء الصعاليك-موضوع الدّراسة-يبدو أنّ أكثر المجالات استقطابا للحديث عن اللّون هو مجال السّلاح،و((الحق أنّ الشّعراء الصعاليك قد اهتموا بألوان كلّ أسلحتهم تقريبا،وفرّقوا بينها في دقة رائعة تستحق الإعجاب))[30].ونكون أكثر دقة عندما نربط البياض بالسّيف،هذه الوسيلة الحربية التي شكّلت بؤرة اهتمام الشّعراء،فقد ((باهى الصعاليك في حمله وتفننوا في وصف لونه وشكله وغمده،وبالأخص اللّون الأبيض فيه،إذ يهبه البريق والحدّة،علما أنّ كثيرا من السّيوف يشوب بياضها سواد ينبي عن الجودة،ذلك لأنّ ضربته لا تُتقى))[31].ومن أمثلة ذلك قول الشنفرى[32]:

إذا فَزِعُوا طارَتْ بِأَبْيَضَ صارِمٍ ورامتْ بما في حَفْرِها ثُمَّ سَلَّتِ[33]

ويقول في موضع آخر[34]:

ثَلاثَةُ أَصْحابٍ:فُؤادٌ مُشَيَّعٌ وأَبْيَضُ إِصْليتٌ وصَفْراءُ عَيْطَلُ[35]

فالشنفرى الذي خرج عن قومه وفارق عشيرته،واعتاض عنها بثلاثة أصحاب لا يتنكّرون للعشرة وهم: قلب شجاع جسور،وسيف صقيل مرهف مشهّر دائما،وقوس طويلة متينة،حصر صحبته في جانب معنوي تمثّله شجاعة قلبه،وجانب مادي تمثّله أسلحته،وقد خصّ بالذكر اثنين كنى عنهما بألوانهما وهما: الأبيض للسّيف والصّفراء للقوس.

ولم يكتف الشّعراء بالإشادة ببياض السّيف فحسب،بل راحوا يبحثون عن شيء يقاسمه هذا البياض ليتخذونه طرفا في صورهم التشبيهية وكان لهم ذلك،فـ((من الصعاليك من حاول تشبيه بياض السّيف بشيء،ولكنهم لم يخرجوا عن تشبيهه بالملح،ولعلّ الملح أشدّ ما يعرفونه بياضا،فلا نعلم شيئا في حياتهم أكثر بياضا من الملح،وحتّى اللّبن المعروف بالبياض لا يبلغ الملح في صفاء بياضه))[36].قال الشّنفرى[37]:

حُسامٌ كَلَوْنِ الملْحِ صافٍ حَديدُهُ جُوازٍ كَأَقْطاعِ الغَديرِ المنَعَّتِ[38]

فهو يؤكد على تشبيه السّيف بالملح بجامع البياض.

ويظهر البياض في الطبيعة في المياه المترقرقة،قال تأبط شرّا على سبيل التكني[39]:

بِهِ مِنْ نَجاءِ الدّلْوِ بِيضٌ أَقَرَّها جُبارُ،لِصُمِّ الصَّخْرِ فِيهِ قَراقِرُ[40]

2-الأسود:

اتخذ اللّون الأسود في الشّعر العربي القديم دلالات متباينة بين الإيجابية والسّلبية،وفيما يتعلّق بالمرأة كان دليل قبح ودليل جمال أيضا.ومن المواطن التي استحضر فيها الشّعراء الصعاليك الحديث عن اللّون الأسود العين وما يرتبط بها من كحل كوسيلة تجميلية،إذ((عرفت المرأة الكحل واستخدمته في إظهار جمال عينيها،وكان الشّعراء يعجبون كثيرا بالمرأة التي تستخدم الكحل لتزيين عينيها،والمرأة كانت تعلم جيدا أنّ هذا العمل من الأعمال التي تغري الرّجل))[41].قال عروة بن الورد[42]:

فَلَمَّا تَرَجَّتْ نَفْعَهُ وشَبابَهُ أَتَتْ دونَها أُخْرى جَديد تَكَحَّلُ

والكحل لا يعدّ ممّا تتجمّل به النّساء فقط،بل يستعمله الرجال أيضا،وهو ما يظهر جليا في قول الشنفرى الذي يذم فيه الخامل الكسول الذي يحصر انشغاله في محادثة النّساء والتجمّل باستعمال الدّهن والكحل،حيث يقول[43]:

ولا خالِفِ دارِيَةٍ مُتَغَزِّلٍ يَروحُ ويَغْدو داهِنًا يَتَكَحَّلُ[44]

ويحضر اللّون الأسود وبكثرة عند الشّعراء الصعاليك عند حديثهم عن اللّيل بسواده وظلامه الحالك . خاصّة وأنّ اللّيل هو الوقت المناسب لهجوم الصعاليك وغاراتهم.قال الشنفرى متحدّثا عن غارة قام بها هو وأصحابه واصفا ردّة فعل الأعداء[45]:

فَثَاروا إلينا في السَّوادِ فَهَجْهَجوا وصَوَّتَ فينا بالصَّباحِ المُثَوَّب[46]

وقريبا من اللّون الأسود نجد اللّون الأغبر،الذي يصف من خلاله الشّعراء حالتهم التي آلوا إليها من كثرة تنقلاتهم وغاراتهم.قال تأبطّ شرّا[47]:

أَلا عَجَبَ الفِتْيانُ مِنْ أُمِّ مالِكٍ تَقولُ:لَقَدْ أَصْبَحْتَ أَشْعَثَ أَغْبَرا

فالمرأة تتحدّث عن الحالة التي آل إليها الشّاعر،وهو في ذلك لا يختلف عن بني جلدته من الصعاليك،الذين لا يعرفون الرّاحة والاستقرار،بل يكون التنقل والترحال دينهم وديدنهم،مما لا يمنحهم فرصة للاعتناء بأنفسهم والاهتمام بالمظهر،لأنّ غايتهم القصوى هي تأمين حياتهم.

وقال الشنفرى واصفا حذاءه[48]:

ونَعْلٍ كَأَشْلاءِ السُّمانَى تَرَكْتُها على جَنْبِ مَوْرٍ كالنَّحيزَةِ أَغْبَرا[49]

ويظهر اللّون الأغبر في عالم الحيوان أيضا،حيث يطلق على أنثى الذئب الغبراء،التي تحدث عنها تأبط شرّا وهو يشرح خياراته في الحياة،وهي أن يفرّ من أعدائه فتستمر حياته،أو أنه يحين أجله فيأتيه الموت بذئبة أو ضبع يتبعان جثته حيثما قبرت ويأكلانها.وفي ذلك يقول[50]:

فَزَحْزَحْتُ عَنْهُمْ أو تَجِئْني مَنِيتي بِغَبْراء أو عَرْفاء تغدو الدَفائِنا[51]

وفي دائرة السّواد يستحضر الشعراء الكدرة.ونجد الشنفرى يوظفها في مجالات عدّة منها عند وصفه للذئب،حيث قال[52]:

وأَغْدو عَلَى القوتِ الزَّهيدِ كَما غَدا أَزَلُّ تهاداهُ التَنائِفَ أَطْحَلُ[53]

وفي هذا البيت يشّبه نفسه أثناء بحثه عن القوت في الصحراء بالذئب الهزيل الذي مال لونه إلى الكدرة، ممّا يوحي بهزاله وما يعانيه من الجوع.وعندما يتحدّث عن سرعته وتحمّله لمشاق الصحراء يحدثنا عن سبقه لطيور القطا إلى نبع الماء،ووصوله قبلها،أي سبقه إلى الماء الصافي،وبالتالي كان نصيب القطا الماء الكدر:

وتَشْرَبُ أَسْآري القَطا الكُدْرَ بَعْدَما سَرَتْ قَرَبًا أَحْناؤُها تَتَصَلْصَلُ[54]

وإذا ما التفتنا إلى تلك الأسلحة التي يستخدمها الصعلوك،نجده يصف الرمح بالسمر،وهو ما يظهر جليا في قول عروة بن الورد[55]:

بِكُلِّ رقاقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدٌ ولدن مِنَ الخَطِيِّ قَدْ طُرَ أَسْمَرا

فالشاعر يعدّد الأسلحة التي يستعملها،ومنها الرمح الذي وصفه بالأسمر،وهو الذي تؤخذ قناته وقد أدركت في غابتها ونضجت ويبست فإذا قوّمت خرجت سمراء.

3-الأصفر:

لعلّ اللون الأصفر كان أكثر الألوان حضورا في البيئة الصحراوية،ففي السّماء هو لون الشّمس،وعلى الأرض هو لون الرمال.وللّون الأصفر علاقة بالموت والاضمحلال تارة،وبالبهجة ومجالس الخمر وجمال المرأة تارة أخرى[56].

ويحضر الأصفر عند الصعاليك مرتبطا بالقوس،وفي وصفها يقول الشنفرى[57]:

ثَلاثَةُ أَصْحابٍ:فُؤادٌ مُشَيَّعٌ وأَبْيَضُ إِصْليتٌ وصَفْراءُ عَيْطَلُ

فالصفراء،وإن وردت مقطوعة عن الموصوف فهي،تحيل إلى القوس التي جعلها الشّاعر ممّا يعتمد على صحبتهم في حياته. ولأنّ القوس كانت أكثر التصاقا بالشنفرى فإنّ تأبط شرا يذكرها عند رثائه فيقول[58]:

يُفَرِّجُ عَنْهُ غُمَّةَ الرَّوْعِ عَزْمُهُ وصَفْراءُ مِرْنانُ،وأَبْيَضُ باتِرُ

3-الأحمر:

بالنّظر إلى طبيعة الحياة الجاهلية التي تقوم على الاقتتال والصراع من أجل البقاء،فإن اللّون الأحمر لم يغب عن تفاصيل هذه الحياة،فهو((يظهر على الغالب في الموضوعات ذات الصّلة بالشّراسة والعنف والمفارقات الصّارخة))[59].فقد ظهر في لوحات الحب والحرب معا.وغالبا ما يكون اللّون الأحمر مرتبطا بالحرب وما ينجرّ عنها من إراقة الدّم.وللتمثيل لذلك نورد قول تأبط شرّا[60]:

دَنَوْتُ لَهُ حَتَّى كَأَنَّ قَميصَهُ تَشَرَّبَ مِنْ نَضْحِ الأَخادِعِ عُصْفُرا[61]

فهو يصف ما فعله بهذا العدّو الذي لم يستطع النجاة منه،واتقاء ضربته،بل نال منه بضربة أسالت دمه وجعلت قميصه بلون الدّم الذي تَشَرَّبه.وقال في موضع آخر واصفا أصحابه[62]:

مَسَاعِرَةٌ شُعْثٌ،كَأَنَّ عُيونَهُمْ حَريقُ الغَضَا تُلْقَى عَلَيْها الشَقائِقُ[63]

فقد وصف هؤلاء الرجال الأشداء الشّعث الذين يشعلون فتيل الحرب ويلهبونها بأنّ عيونهم متقدة بحمرة الغضب،وكأنها نبات سريع الاحتراق ألقيت عليها الشقائق،وهي زهور شديدة الحمرة وهي المعروفة بشقائق النعمان.

سبق وأن رأينا أنّ الشّعراء الصعاليك يستعملون اللّون الأصفر في وصف القوس،فهم((غالبا يصفونها بصفرة اللّون،وهو اللّون الأصيل فيها،وفي أحيان قليلة يصفونها بالاحمرار،لا على أنه لون أصلي وإنما على أن طول استعمالها وتعرضها للشّمس والمطر أثر في صفاء صفرتها،وحوّل هذا الصفاء إلى شيء من الحمرة))[64].

قال الشنفرى واصفا القسي باللّون الأحمر[65]:

وباضِعَةٍ،حُمْرِ القِسِيِّ،بَعَثْتُها ومَنْ يَغْزُ يَغْنَمْ مَرَّةً،ويُشَمَّتِ

ويذهب يوسف خليف إلى أن القوس عند الهذليين تكون دائما صفراء،غير أنّ الشنفرى يجعلها صفراء وحمراء أيضا،ومرد ذلك ((دقة ملاحظة الشنفرى،وصدق تعبيره عن تجاربه،فالقوس تكون صفراء في أوّل أمرها،فإذا ما كثر استعمالها وتعرّضت للشّمس والمطر والتقلبات الجوّية صارت حمراء))[66]

فقد جعل القسيّ حمرا إما لاتخاذها من النبع،وهو نوع من الشّجر تُتخذّ منه القسّي،ومن أغصانه السّهام،وإما لأنّ الشّمس والأنداء غيّرت لونها.وفي ذلك يقول[67]:

وحَمْراءُ مِنْ نَبْعِ أَبِيٍّ ظَهِيرَةٌ تَرِنُّ كَإِرْنانِ الشَّجيّ وتَهْتِفُ[68]

ويقول في موضع آخر[69]:

أُرَكِّبُهَا في كُلِّ أَحْمَر غاثِرٍ وأَنْسِجُ لِلْوِلْدانِ ما هُوَ مُقْرِفُ[70]

5-الأخضر:

يرتبط اللّون الأخضر بالنبات،والنبات هو مصدر الحياة للكائنات الحيّة.ولأنّ وجوده قلّ في البيئة الصحراوية،فحضوره يكاد ينعدم في اللوحات الشّعرية.ويظهر هذا اللّون في تصوير الرياض والخمائل حينا،ووصف الكتائب المقاتلة أحيانا أخرى[71].ومن النماذج التي احتوتها المدونة قول عروة بن الورد[72]:

صَبورًا على رَزْءِ الموالي وحافِظًا لِعِرْضي حَتَّى يُؤْكَل النَّبْتُ أَخْضَرا

يقول:أصون عرضي عن الذّم وأعرضه للحمد،إذا جاءت السنة وجهد الناس لم أزل أقري وأضيف حتى تخرج السنة ويقبل الخصب ويورق الشجر فيعود العود أخضر بعد يبسه وترجع السنة وتخضر الأرض.

6-الأزرق:

أما الأزرق((فيوحي بالعنف والقسوة في مجال الصراع،حيث النّصال والأسنة بزرقتها المخيفة،ويوحي بالطمأنينة والسكينة في وصف المياه الصافية الساجية))[73].قال الشنفرى واصفا السّهم[74]:

ومُسْتَبْسِلٍ ضَافِي القَميصِ ضَمَمْتُهُ بِأَزْرَقَ لا نِكْسٍ ولا مُتَعَوِّجِ[75]

ويتحدّث تأبط شرا عن المياه ويصفها بالصفاء فيقول[76]:

بِهِ نُطَفٌ زُرْقٌ،قَليلٌ تُرابُها جَلا الماءُ عَنْ أَرْجائِها فَهُوَ حائِرُ[77]

أبعاد اللّون ودلالته في شعر الصعاليك:

اكتسبت الألوان وألفاظها،إلى جانب دلالاتها الحقيقية،دلالات اجتماعية ونفسية جديدة نتيجة ترسبات طويلة،أو نتيجة لما يملكه اللّون ذاته من قدرات تأثيرية،وما يحمله من ايحاءات معينة تؤثّر على انفعال الإنسان وعواطفه[78].

وبعد أن تحدّثنا عن حضور اللّون ومواطنه في شعر الصعاليك،لا يمكن التسليم بأن حضور الألوان كان يتم بعفوية وواقعية،وإنما نرجح وجود أبعاد دلالية يمكنها تفسير استعمال الشاعر الصعلوك،والجاهلي بوجه عام لهذه الألوان.وسنحاول،فيما يأتي،أن نرصد الأبعاد الدلالية لتوظيف هذه الألوان،والتي انحصرت في جوانب محدّدة هي:النفسي، والاجتماعي، والأسطوري.

-البعد النفسي:

استخدم اللّون الأبيض((رمزا للطّهر والبراءة وللتفاؤل والرضا،ولجمال اللّون وإشراقه،وأخيرا رمزا للمهادنة والمسالمة))[79].ولعلّ دلالة اللون الأبيض النفسية تتجلى واضحة في لوحة المشيب؛حيث يغزو البياض سواد الشّعر،ويقف دليلا على التقدّم في السّن وما ينطوي عليه من ضعف وإحساس بالعجز، وشعور بدنوّ الأجل.

وتتخذ لوحة المشيب دلالة نفسية مميزة في قول عروة بن الورد[80]:

كَأَنّي حَصانٌ مالَ عَنْهُ جِلالُهُ أَغَرُّ كَريمُ حَوْلَهُ العودُ راتِــعُ

فَما شابَ رَأْسِي مِنْ سِنينَ تَتابَعَتْ طِوالٍ ولَكِنْ شَيَبَتْهُ الوَقائِعُ

فهو يخبرنا أنّ ما علا رأسه من مشيب،لم ينتج عن تتابع السنين الطوال،وإنما نتج عن كثرة معايشته للأهوال والمخاطر،وهنا يأخذ المشيب دلالة نفسية لا زمنية حقيقية.

أما اللّون الأسود،فقد ارتبط في أذهان النّاس بالحزن والتشاؤم،إذ((شاع بينهم الخوف من الظلام وما يحمله من مجهول،فربطوا بين الخوف من المجهول بالسّواد))[81].وإن كان هذا دأب الإنسان فإنّ الشعراء الصعاليك يعلنون خروجهم عن هذه القاعدة،وما ذلك إلا تأكيدا على شجاعتهم وعدم خوفهم من مواجهة الأخطار.قال الشنفرى[82]:

ولَسْتُ بِمِحْيارِ الظَّلامِ إذا انْتَحَتْ هُدَى الهَوْجَلِ العِسِّقِ يَهْماءُ هَوْجَلُ[83]

ويقول تأبط شرا[84]:

وأَدْهَمَ قَدْ جُبْتُ جِلْبابَهُ كَمَا اجْتابَت الكاعِبُ الخَيْعَلا

إلى أَنْ حَدا الصُّبْحُ أَثْناءَهُ ومَــزَّقَ جِلْبَــابَهُ الأَلْيَـــلا[85]

فالشاعران يؤكدان على خروجهما في اللّيل،وعدم خوفهما من ظلمته،وهذا تأكيد واضح على قوة نفسيهما،خاصّة وأنّ ظروف الحياة قد أجبرتهما،وغيرهما،على أن يكونا متأهبين دائما لكل خطر.

وينقلنا الشنفرى إلى عالمه الخاص،عالم الوحوش،الذي اتخذه بديلا عن عالم البشر؛حيث يصوّر لنا حالة الاستئناس والاطمئنان بينه وبين وحوش الفلاة،وهو بذلك يجد لنفسه العزاء والسلوى مما تعرض له في أحضان عشيرته،يقول[86]:

تَرودُ الأَراوي الصُّحْمَ حَوْلي كَأَنَّهَا عَذارَى عَلَيْهِنَّ المُلاءُ المُذَيَّلُ[87]

فالشاعر يتحدّث عن الألفة التي تجمعه بحيوانات الصّحراء،حتى أصبح كأنه فرد من أفرادها،بل تكاد إناث الوعول تألفه وكأنه ذكرها لتعودها عليه،فهي تلتف حوله تبدي تقربها منه وكأنها عذارى ترفل في ثيابها الطويلة.

-البعد الاجتماعي:

تحمل الألوان بعدا اجتماعيا يعكس انتماء طبقيا معينا،خاصّة إذا ارتبط اللّون بالمرأة،فلون المرأة يعكس،وفي مستويات متعدّدة انتماءها الطبقي،فالأبيض مثلا هو لون المرأة الحرّة المنعمة المترفة المخدومة((أمّا نساء الطبقة البائسة فيعرفن دائما بمظاهرهن البسيطة،وانصرافهن إلى الأعمال الجادة،وممارسة بعض المهن لفك طوق الضائقة الاقتصادية))[88]،وممارسة الأعمال المختلفة من شأنه أن يغيّب البياض عن المرأة،ويُحلّ محلّه السّواد،وهو ما نجده في حديث عروة بن الورد إذ يقول[89]:

أَبَى الخَفْضَ مَنْ يَغْشاك مِنْ ذِي قَرابَةٍ ومِنْ كُلِّ سَوْداء المعاصِمِ تَعْتَري

فهو يحدّثنا عن هذه المرأة التي تحيا ظروفا معيشية صعبة،فهي ليست مصونة مترفة،وإنما قد جهدت من الجذب والجهد والهزال ولم تصن نفسها.وقد ظهر فقرها من سوداء معاصمها،هذا السّواد الذي يمكن أن ينتج عن ممارستها للأعمال الشّاقة أو من شدّة البرد وحضور النيران طلبا للتدفئة،والمعروف أن تعريض اليدين الدائم للنّار من شأنه أن يؤثر فيهما ويغيّر لونهما.

ويأخذ البياض دلالته الاجتماعية من استعمال العرب له،إذ أورد ابن منظور أن((العرب إذا قالت فلان أبيض وفلانة بيضاء،فالمعنى نقاء العرض من الدّنس والعيوب،والعرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللّون))[90].وهو المعنى الذي يكرّسه الشّعراء الصعاليك عندما يستعملونه للدلالة على الاشراق وصفاء السريرة الناتج عن مساعدة المحتاجين وإيثارهم على أنفسهم.قال عروة[91]:

أَقِبُ ومِخْماصُ الشِّتاءِ مُرزِا إذا اغْبَرَّ أوْلادُ الأَدِلَةِ أَسْفَرا[92]

وقال في موضع آخر[93]:

قَعيدك عمر الله هَلْ تَعْلَمينَني كَريمًا إذا اسْوَدَّ الأَنامِلُ أَزْهَرا

فهو يذهب إلى القول أنّه إذا جاء الشتاء واشتد البرد غشي الناس النيران و اسودّت أناملهم ومعاصمهم من الوقود وشدّة السنة واقشرت جلودهم،يكون هو أزهر أبيض اللّون لا يحتاج إلى الوقود.

-البعد الديني و الأسطوري:

ارتبطت الألوان في الشعر الجاهلي عامة وشعر الصعاليك خاصة بموصوفات محدّدة،اتسمت بالنمطية والتكرار مما يوحي بأن لها دلالات أبعد.فتحديد الألوان يقوم على التشبيه،والتشبيه يضرب في أعماق الوجود الانساني،وتردّد المشبه والمشبه به يدّل على وجود علاقة رمزية تكون أبعد من العلاقة الظاهرة بين الطرفين[94].وعليه فإنّ الشّعر الجاهلي الذي احتضن هذه التشبيهات يحاكي نماذج أقدم منه عهدا وألصق بالدين القديم الذي عبدت فيه الشّمس ورموزها المقدّسة[95].

وإن كانت الشّمس في الدين القديم قد حظيت بالعبادة فإنّ رموزها قد حظيت بالتقديس،وقد خلع العرب صفة الأمومة على الشّمس فاعتبروها الإلهة الأم ثمّ جمعوا الصّور المختلفة الممثلة للأمومة والخصوبة،فانتقوا الغزالة والحصان من الحيوان،والنخلة من النبات،والمرأة من الإنسان وجعلوها رموزا مقدسة للشّمس[96].

ولم تكن هذه التشبيهات صورا باهتة غير واضحة الملامح،بل كان اللون حاضرا فيها وبصفة واضحة.وإذا ما حدّدنا المجال الذي حظي باهتمام الصعاليك نحده الحديث عن الأسلحة،وأكثر الألوان حضورا في وصف السّلاح هما:البياض والصفرة.والشاعر الجاهلي وهو يصوّر سلاحه بألوان ساطعة مشرقة،إنما يستمدّ البركة والقوة من الشّمس،معبوده الأعلى[97].قال تأبط شرا[98]:

يُفَرِّجُ عَنْهُ غُمَّةَ الرَّوْعِ عَزْمُهُ وصَفْراءُ مِرْنانُ،وأَبْيَضُ باتِرُ

فمن الأشياء التي ارتبط لونها بالأصفر عند الشّعراء الصعاليك نجد القوس،وإصرار الشّاعر على تلوين قوسه بالصفرة،لون الشّمس،يدفعنا إلى التوحيد بين القوس والشّمس،لاشتراك كلّ منهما في صفات: الأنوثة،والصفرة،وصفات إلهية أخرى أدّت لاتحاد القوس بالشّمس،أو جعل القوس بديلا أرضيا مقدّسا للشمس[99]. وعليه فالشّعراء الصعاليك يستحضرون كل ما تعكسه ثنائية القوس/الشّمس حين يصفون القوس بالصفرة. ولا نجد أكثر تدليلا على العلاقة بين القوس والشّمس من قول الشنفرى[100]:

ولَيْلَةَ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وأَقْطُعه اللاّتي بها يَتَنَبَّلُ[101]

فالشاعر يصف لنا كيف أنّ القوس قد أمدّته بما تمده به الشّمس،وهو الدفء،وعليه يمكن القول((إن القوس-التي هي آية من آيات الشّمس-لتتحوّل إلى قطعة شمسية،قادرة على إمداد صاحبها بالدفء والضوء والأمان،في ليلة"النّحس"تلك))[102].

ولم تكن الأساطير لتقف عند ربط علاقة بين القوس/الشّمس،بل تذهب إلى إقامة علاقة أخرى قوامها القوس/المرأة.وهو ما نلحظه في قول الشنفرى[103]:

ثَلاثَةُ أَصْحــابٍ:فُؤادٌ مُشَيَّعٌ وأَبْيَضُ إِصْليتٌ،وصَفْراءُ عَيْطَلُ

هَتُوفٌ مِنَ الملْسِ المُتونِ يَزِينُها رَصائِعُ قَدْ نِيطَتْ إِلَيْها ومِحْمَلُ

إِذَا زَلَّ عَنْها السَّهْمَ حَنَّتْ كَأَنَّها مُرَزَّأَةٌ ثَكْــلَى تَــرِنُّ وتُعْــوِلُ[104]

فالقوس قد أخذت صورة المرأة كاملة:فهي صفراء صفرة تجمع الشمس والمرأة والقوس،ومزينة شأن كل أنثى،ومنعمة ،تتميّز بالخصوبة غير أنها تفقد طفلها لحظة ولادته فهي مرزأة ثكلى،ولا تملك إلا أن ترن وتعول.فـ ((القوس تحمل سرّ الخصوبة"هي دائما ثكلى=ولود"التي وصلتها من ارتباطها بالشّمس الصفراء ربة الخصب،والمرأة الصفراء البديل المقدّس للشّمس،وبذلك تنظّم القوس لقوى الضياء الشمسية التي تساعد الآلهة والبشر ضد حالات الظلام والعماء والأعداء،حيث يحارب بها العربي،فإذا أصابه البرد استدفأ بها واستدعى بركة الشّمس التي اختزنت فيها))[105].

الأبيض:

ارتبط البياض عند الشعراء الصعاليك بلون المرأة ولون أسنانها ،وهي في كل ذلك تكشف عن علاقة المرأة/الشّمس.أما فيما يخص الرّجل فإن حضور البياض لديه يعود إلى جذر أسطوري يكمن في ربط الممدوح بالقمر. وعليه يكون مدح الرجل بالتلألؤ والإشراق تأكيدا لهذا البعد الأسطوري الموغل في القدم.

قال عروة بن الورد[106]:

وَلَكِنَّ صُعْلوكًا صَحيفَةَ وَجْهِه كَضَوْءِ شِهابِ القابِسِ المتَنَوّرِ

وإذا كان القمر قد عبد بوصفه إلها ذكرا،فإنّ السّيف قد أخذ صفة التذكير،وارتباط السيف بفكرة الذكورة معروف،حيث يوصف السّيف الصلب بأنه مذكر أو ذكر[107].

وتأكيد لصفة البياض في السيف شبّه بالملح.والملح له تاريخه الأسطوري عالميا وعربيا،فالعرب القدماء((استخدموا الملح في العديد من الطقوس السحرية،ومنها طقس التحالف؛حيث كان المتحالفون يوقدون نارا،ويلقون فيها الملح والكبريت،ويقول صاحب النار للحالف:"هذه النار قد تهدّدتك"،فإن كان مبطلا نكل،وإن كان بريئا حلف))[108] . قال عروة بن الورد[109]:

يَكْفِي مِنَ المأْثورِ كالمِلْحِ لَوْنُهُ حَديث بِإِخْلاصِ الذكورَةِ قاطِعُ

فالشاعر الصعلوك وهو يصف سيفه بالملح فإنه يستدعي ما تمثله هذه الطقوس السحرية من دلالات،فـ((يغدو سيفه محملا بقوة سحرية هائلة،قادرة على التصدي للشر والحسد والحقد،وهو عندما يصف سيفه بالملح كمن يمتلك تميمة أو تعويذة سحرية،تضمن له الأمن وردّ المكروه،وصدّ الشّر والأذى))[110]

الأسود:

شُحن اللون الأسود في الثقافة العربية بدلالة سلبية،فقد((ارتبط اللون الأسود عند العرب بكل ما يخيف،فارتبط بالجنّ والشياطين والحيات والغربان والضباع والذئاب))[111].ومن الحيوانات التي ورد ذكرها عند الشّعراء الصعاليك،وكانت لها دلالاتها الأسطورية الضبع.و((قد أحاط العرب هذا الحيوان بهالة من الخوف والتقديس،فقد ارتبطت الضباع بالموت لأنها موكولة بأجساد الموتى،ومن عادتها نبش القبور حتى قالوا في أمثالهم:"أنبش من جيأل"،وهالة الرّعب والخوف من الضباع تعود-في اعتقاد البدائيين-لقدرتها على اكتساب صفات الموتى الذين تأكل جثثهم،ولذلك أضيفت الضباع لقوى العماء والموت))[112]

ومن ذلك ما يظهر في حديث تأبط شرا،وهو يشرح ذلك المآل المأساوي الذي ينتظره بعد انتهاء حياته،و هو المصير الذي تصنعه ذئبة أو ضبع يتبعان جثته حيثما قبرت ويأكلانها.وفي ذلك يقول[113]:

فَزَحْزَحْتُ عَنْهُمْ أو تَجِئْني مَنِيتي بِغَبْراء أو عَرْفاء تغدو الدَفائِنا

كانت هذه بعض الدلالات النّفسية والاجتماعية والأسطورية التي ارتبطت بحضور الألوان وتواترها في شعر الصعاليك.مع الإشارة إلى أن هذا الموضوع يحتاج إلى مجال أوسع وأشمل.وقد خلصت هذه الدّراسة إلى جملة من النتائج،وهي:

-كان اللون حاضرا في اللوحات الشعرية التي رسمها الصعاليك كغيرهم من شعراء العصر.

-كان تركيزهم على اللّون أكثر حضورا في تحديدهم لتفاصيل الأشياء.

-تفاوت حضور الألوان في لوحاتهم من لون لآخر،فكثر حضور الأبيض والأحمر مقارنة بغيرهما من الألوان.

-قلّ حضور اللون في شعر الصعاليك في بعض المواضيع وفقا لطبيعة حياتهم المختلفة كما عرضناه عند حديثهم عن المرأة .

-شكّل وصف الأسلحة أكثر المجالات استقطابا للّون.

-لم يكن حضور الألوان في شعر الصعاليك تقريرا لواقع فحسب،بل كانت له أبعاده النفسية والاجتماعية والدينية والأسطورية.

الهوامش:

[1]-ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري):لسان العرب،مج 08،ط 6،دار صادر،بيروت، 2008،ص 243-244.

[2]-يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،دار غريب،القاهرة،ص 116-117.

[3]-المرجع نفسه،ص 17.

[4]-شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي.العصر الجاهلي،ط11،دار المعارف،مصر،ص 375.

[5]-المرجع السابق ،ص 20-21.

[6]- علي الجندي:في تاريخ الأدب الجاهلي،دار غريب،القاهرة،مصر،1998،د.ط،ص 438.

[7]-المرجع السابق،ص 51-52.

[8]-عقد يوسف خليف فصلا كاملا لعرض الظواهر الفنية في شعر الصعاليك،وذلك في كتابه:الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص 253 وما بعدها.

[9]-المرجع نفسه،279.

[10]-المرجع نفسه،ص 279-280.

[11]-ابن منظور:لسان العرب،مج 13،ص 259.

[12]-أحمد محمود خليل:في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي،دار الفكر،دمشق،سوريا،ط1 ،1996،ص 196.

[13]-أحمد مختار عمر:اللغة واللّون،عالم الكتب،القاهرة،مصر،ط 2،1997 ،ص 69.

[14]-المرجع السابق،ص 207.

[15]- ديوان تأبطّ شرّا وأخباره،جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر،دار الغرب الاسلامي،ط1،1984،ص 202.

[16]- نياف القرط:طويلته كناية عن طول العنق وجماله.نعم خيم:مشتقة من الخيمة أي نعم المعاشر والسكن.

[17]-ابن السكيت:شرح ديوان عروة بن الورد العبسي،تصحيح الشيخ ابن أبي شنب،مطبعة جول كربوفل،الجزائر،1936،ص 170.

[18]-أحمد محمود خليل:في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي،ص 196.

[19]-ديوان الشنفرى:جمع وشرح وتحقيق اميل بديع يعقوب،دار الكتاب العربي،بيروت،ط 2، 1996،ص 28.

[20]-ابن السكيت:شرح ديوان عروة،ص 78.

[21]-ديوان تأبط شرا وأخباره،ص 84.

[22]- المصدر السابق،ص 160.

[23]-ديوان الشنفرى،ص 73.

[24]-يركدن:يثبتن بدون حركة.العصم:ج الأعصم وهو الذي في ذراعيه بياض.أدفى:طال قرناه وانعطفا على ظهره.الكيح:جانب الجبل. أعقل:مكان ممتنع يصعب الوصول إليه.

[25]-المصدر السابق،ص 64.

[26]-مهلهلة:خفيفة اللّحم هزيلة.شيب:ج أشيب.قداح:ج قدح وهو السهم قبل أن يبرى ويعدّ للإطلاق.ياسر:اللاعب بالميسر.تتقلقل:تضطرب.

[27]- ديوان الشنفرى،ص 34.

[28]-ربحت:أصابتها الريح فجاءت بنسيمها،وجعل ذلك عشاء لأنه أبرد للريح عند مغيب الشمس.طلّت:أصابها الطل،وهو الندى.نوّرت:خرج نورها،وهو الزّهر الأبيض،الأرج:نفحة الرائحة الطيبة.مسنت:مجدب.

[29]-ديوان عروة بن الورد،ص 42.

[30]-يوسف خليف:الشّعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،ص 279.

[31]-حسن جعفر نور الدين:موسوعة الشعراء الصعاليك،ج 1،الصعلكة والشعر الصعلوكي في الميزان،رشاد برس،بيروت،لبنان،2007 ص 195.

[32]-ديوان الشنفرى،ص 36.

[33]-طارت:وثبت.صارم:قاطع.الحفر:الكنانة.

[34]- المصدر السابق،ص 60.

[35]-فؤاد مشيع:جسور،شجاع كأنه في شيعة،أي جماعة.أبيض:سيف.إصليت:صقيل ولامع،أو مصلت:مجرد من غمده. صفراء:قوس.عيطل:من صفات القوس،طويلة العنق.

[36]-عبد الحليم حنفي :شعر الصعاليك منهجه وخصائصه،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1987،ص 218.

[37]-ديوان الشنفرى،ص 36.

[38]-الحسام:السّيف.الجراز:السيف القاطع.أقطاع الغدير:القطع من ...يضربها الهواء فتنكسر وتبرق.المنعّت:الممدّح،اليانع الجودة.

[39]-ديوان تأبط شرا،ص 95.

[40]-بيض:بقايا الماء.الجبار:السّيل.قراقر:من القرقرة وهي صوت اصطدام الماء بالصّخر.

[41]-منذر ذيب كفافي كفافي:صورة المرأة في شعر الصعاليك واللّصوص حتى نهاية العصر الأموي،دار كنوز المعرفة،عمان،الأردن،ط 1، 2009،ص 60.

[42]-ديوان عروة بن الورد،ص 118.

[43]- ديوان الشنفرى،ص 61.

[44]-خالف:الخالف في الأصل هو آخر عمود في البيت،وهنا بمعنى الرجل المتخلف عن المسؤولية وكبار الأعمال.دارية:نسبة إلى الدار،أي قعيد بيته لا يحضر مجالس الرجال.متغزّل:يتحبّب إلى النساء.داهن:يدهن نفسه بالزيوت.

[45]-المصدر السابق،ص 28 .

[46]-السّواد:الظلمة.هجهجوا:صاحوا.المثوّب:الراجع.

[47]-ديوان تأبط شرا،ص 98.

[48]-ديوان الشنفرى،ص 46.

[49]-الأشلاء:ج شلو وهو العضو،والقطعة من اللحم.السّمانى:نوع من الطيور التي ترحل من مكان إلى آخر.المور:الطريق الموطوء المستوي.النحيزة:القطعة الخشنة من الأرض.الأغبر:من كان لونه الغبرة،وهي لون الغبار.

[50]-ديوان تأبط شرا،ص 217.

[51]-زحزحت عنهم:أي هربت وابتعدت عنهم.الغبراء:أنثى الذئب.العرفاء:الضّبع.تغدو الدفائن:أي تتبع الموتى في قبورهم لتأكلهم.

[52]-ديوان الشنفرى،ص 63.

[53]-أغدو:أذهب في الغداة،وهي الوقت بين شروق الشمس والظهيرة.القوت:الطعام.الزهيد:القليل.الأزل:صفة للذئب القليل اللّحم.تهاداه:تتناقله وتتداوله.التنائف:الأرضون،واحدتها تنوفة،وقيل:هي المفازة في الصحراء.الأطحل:الذي في لونه كدرة.

[54]-الأسآر:ج سؤر،وهو البقية في الاناء من الشرب.القطا:نوع ن الطيور مشهور بالسرعة.الكدر ج أكدر،الكدرة:اللون ينحو إلى السّواد.القرب:السّير إلى الماء وبينك وبينه ليلة.الأحناء:ج الحنو،وهو الجانب.تتصلصل:تصوّت.

[55]- ديوان عروة بن الورد ،ص 134.

[56]-أحمد محمود الخليل:في النقد الجمالي.رؤية في الشّعر الجاهلي،ص 196.

[57]-ديوان الشنفرى،ص 60.

[58]-ديوان تأبط شرا،ص 81.

[59]-أحمد محمود الخليل:في النقد الجمالي.رؤية في الشّعر الجاهلي،ص 194.

[60]- المصدر السابق،ص 102.

[61]-النضح:الرّش يكون للماء وللدّم.الأخادع:الأخدعان عرقان في جانبي العنق.العصفر:نبات صبغي أحمر يشبه الدّم.

[62]-ديوان تأبط شرا،ص 123.

[63]-مساعرة:أي فتية مساعرة،ج مسعر وهو الرجل الذي تحمى به الحرب وتشتعل،وهو كذلك الشّديد الطويل.شُعث:ج أشعث وهو المنفوش الشّعر المغبّر السحنة.الغضا:شجر تنبته الصحراء جيّد الحريق.وعيونهم متقدة بحمرة الغضب كأنما تجد عليها وفيها الشقائق،وهي زهور شديدة الحمرة،وهي المعروفة بشقائق النعمان.

[64]-عبد الحليم حنفي:شعر الصعاليك منهجه وخصائصه،ص 226.

[65]-ديوان الشنفرى،ص 34.

[66]-يوسف خليف:الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،ص 195.

[67]-ديوان الشنفرى،ص 54.

[68]- الحمراء:القوس،وجعلها حمراء إما لاتخاذها من النّبع،وإمّا لقدمها،وإمّا لأنّ الشمس والأنداء غيّرت لونها.النّبع:شجر يتخذ منه القسي والسّهام.الإرنان:الصّياح بالبكاء.الشّجي:الحزين.

[69]-المصدر السابق،ص 55.

[70]-الأحمر:القوس.الغاثر:المحمّر إلى خضرة،المقرف:غير حسن.

[71]- أحمد محمود خليل:في النقد الجمالي.رؤية في الشعر الجاهلي،ص 196.

[72]-ديوان عروة بن الورد،ص 61.

[73]-المرجع السابق،ص 196.

[74]-ديوان الشنفرى،ص 40.

[75]-المستبسل:الذي يقبل على الحرب مستقتلا.الأزرق:السّهم.النّكس:السهم الذي ينكسر مشق رأسه،فيجعل أعلاه أسفله.

[76]-ديوان تأبط شرا،ص 96.

[77]-به:أي الشعب.نطف:ج نطفة وهي المويهة القليلة.زرق:من الصّفاء.جلا:ذهب.أرجاء النطفة أو البئر جوانبها.حائر:راجع.

[78]-أحمد مختار عمر:اللغة واللون،ص 199.

[79]-المرجع نفسه،ص 205.

[80]-ديوان عروة بن الورد،ص 160.

[81]-المرجع السابق،ص 201.

[82]-ديوان الشنفرى،ص 62.

[83]-المحيار:المتحيّر.انتحت:قصدت واعترضت.الهدى:الهداية،والمقصود هداية الطريق في الصحراء.الهوجل:الرجل الطويل الذي فيه حمق.العسيف:الماشي على غيرهدى.الهيماء:الصحراء.الهوجل:الشديد المسلك المهول.

[84]-ديوان تأبط شرا،ص 164.

[85]-الأدهم:الليل.جبته:أي لبسته ودخلت فيه.الخيعل:القميص لا كم له.الأثناء:النواحي والجوانب.ليل أليل:شديد الظلمة.

[86]-ديوان الشنفرى،ص 72.

[87]- ترود:تذهب وتجيئ،الأراوي:ج أروية وهي أنثى التيس البري.الصحم:ج أصحم ،وهي السواد الضارب لونها إلى الصفرة ،وقيل الحمراء الضارب لونها إلى السواد.

[88]-أحمد محمود خليل:في النقد الجمالي،ص 56.

[89]- ديوان عروة بن الورد،ص 71.

[90]-ابن منظور:لسان العرب،مادة ب ي ض .

[91]-المصدر السابق،ص 62.

[92]-الأقب:الضامر البطن.المخماص:الجائع.اغبر:صار لونه لون الغبار.أسفر الصبح:إذا أضاء وأشرق.

[93]-المصدر السابق،ص 60.

[94]-نصرت عبد الرحمان:الصورة الفنية في الشّعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث،مكتبة الأقصى،عمان،الأردن،ط 2، 1982،ص 110.

[95]-علي البطل:الصورة في الشّعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري.دراسة في أصولها وتطورها،دار الأندلس،بيروت،لبنان،ط 2، 1983،ص 70.

[96]-المرجع نفسه،ص 57.

[97]- ابراهيم محمد علي:اللون في الشعر العربي قبل الاسلام(قراءة ميثولوجية)،جروس برس،لبنان،ط 1، 2001،ص 112.

[98]-ديوان تأبط شرا،ص 81.

[99]-المرجع السابق،ص 110-111.

[100]- ديوان الشنفرى،ص 69.

[101]-النّحس:البرد.يصطلي:يستدفئ.الأقطع:ج قطع وهو نصل السهم.يتنبل:يتخذ منها النبل للرمي.

[102]-المرجع السابق،ص 113.

[103]-المصدر السابق،ص 60.

[104]-هتوف:مصوتة.الملس:ج ملساء التي لا عقد فيها.المتون:ج متن وهو الصلب.الرصائع:ج الرصيعة وهو ما يرصع أو يحلى به.نيطت:علقت المحمل:ما يعلق به السيف أو القوس.زلّ:خرج.مرزأة:كثيرة الرزايا وهي المصائب.

[105]- ابراهيم محمد علي:اللون في الشعر العربي قبل الاسلام(قراءة ميثولوجية)،ص 115.

[106]- ديوان عروة بن الورد،ص 78.

[107]-المرجع نفسه،ص 154.

[108]-المرجع نفسه،ص 155 نقلا عن جواد علي:المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج 6،ص 698.

[109]- ديوان عروة بن الورد ،ص 178.

[110]-المرجع السابق،ص 156.

[111]-المرجع نفسه،ص 176.

[112]-نفسه ،ص 187.

[113]-ديوان تأبط شرا،ص 217.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. ديوان تأبطّ شرًا وأخباره،جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر،دار الغرب الاسلامي،ط1،1984.
2. ابن السكيت:شرح ديوان عروة بن الورد العبسي،تصحيح الشيخ ابن أبي شنب،مطبعة جول كربوفل،الجزائر،1936.
3. ديوان الشنفرى:جمع وشرح وتحقيق اميل بديع يعقوب،دار الكتاب العربي،بيروت،ط 2، 1996 .

المراجع:

1. أحمد محمود خليل:في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي،دار الفكر،دمشق،سوريا،ط1 ،1996.
2. أحمد مختار عمر:اللغة واللّون،عالم الكتب،القاهرة،مصر،ط 2،1997 .
3. ابراهيم محمد علي:اللون في الشعر العربي قبل الاسلام(قراءة ميثولوجية)،جروس برس،لبنان،ط 1، 2001.
4. حسن جعفر نور الدين:موسوعة الشعراء الصعاليك،ج 1،الصعلكة والشعر الصعلوكي في الميزان،رشاد برس،بيروت،لبنان،2007 .
5. شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي.العصر الجاهلي،ط11،دار المعارف،مصر.

6. عبد الحليم حنفي :شعر الصعاليك منهجه وخصائصه،الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،1987.
7. علي البطل:الصورة في الشّعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري.دراسة في أصولها وتطورها،دار الأندلس،بيروت،لبنان،ط 2، 1983.
8. علي الجندي:في تاريخ الأدب الجاهلي،دار غريب،القاهرة،مصر،1998،د.ط.
9. منذر ذيب كفافي كفافي:صورة المرأة في شعر الصعاليك واللّصوص حتى نهاية العصر الأموي،دار كنوز المعرفة،عمان،الأردن،ط 1، 2009.
10. ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري):لسان العرب،مج 08 ،دار صادر،بيروت، ط 6،2008.
11. نصرت عبد الرحمان:الصورة الفنية في الشّعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث،مكتبة الأقصى،عمان،الأردن،ط 2، 1982.
12. يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،دار غريب،القاهرة،د.ط،د.ت.